

عن أوصافها، فجمال الزهرة، الانساني، وجمال النحت والتصوير والموسيقى، والكلام، كل ذلك يدرك على حقيقته عن طريق الذوق، وقديما قال بعض الخلفاء العباسيين لإسحق الموصلي: صف لي جيد الغناء، فقال: يا أمير المؤمنين إن من الأشياء أشياء تصيبها المعرفة، وتعجز من أدائها الصفة، وما قاله إسحق في جيد الغناء هو نفسه الذي يقال في جيد الكلام، والجيد من الفنون بعامة، وقد كنت قرأت قصة قديمة وقفت عندها طويلا؛ كانت عائشة بنت طلحة تنافس بالحُسْن سَكِينَةَ بنت الحسين، فقالت لها سَكِينَةُ يوما: أنا أجمل منك، قالت عائشة: بل أنا، فاختصمتا إلى عمر بن أبي ربيعة فقال لاقضين بينكما، أما أنت يا سَكِينَةَ فأملح منها، وأما أنت يا عائشة فأجمل، فقالت سَكِينَةُ: قضيت لي ورب الكعبة، فهم إذن كانوا يفضلون الملاحاة على الجمال، وفرق بينهما، إنك تستطيع أن تصف الجمال وتبين حدوده وقواعده، ولكنك لا تستطيع أن تصف الملاحاة، وإنما تدرك الملاحاة بالذوق، وبالذوق فقط.

و السكاكي قد ربط بين بلاغة الكلام وبين الملاحاة حيث يقول: "واعلم أن شأن الاعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن

وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحاة".

و قد اعترف الجاحظ بالعجز عن وصف الجيد من الكلام، فقد تذاكر الناس يوماً شعر أبي العتاهية بحضرته إلى أن جرى ذكر أرجوزته المزدوجة التي سماها ذات الامثال، فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى على قوله:

يا للشباب المرح التصابي * * * روائح الجنة في الشباب

فقال الجاحظ للمنشد: قف. ثم قال: انظروا إلى قوله: روائح الجنة في الشباب، فإن له معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتعجز عن ترجمة اللسنة إلا بعدالتطويل وإدامة النظر.

قلت: ووهم الجاحظ حيث ظن أن الألسنة تستطيع أن تصف معنى هذا الكلام، أو معنى الطرب بعد

التطويل، وإدامة النظر، فمهما بلغ الجاحظ